The Chittagong University Journal of Arts and Humanities
ISSN 1993-5536
VOL.XXXIV, 2018 (pp.265 - 284)
Published in October, 2023

الزَّجَّاجُ: عبقريّتُه و اتجاهاته النحويّة

(আয-যাজ্জাজ: তাঁর প্রতিভা ও ব্যাকরণগত দৃষ্টিভঙ্গি)

ড. মুহাম্মদ নূরুল ইসলাম*

প্রতিপাদ্যসার

আয-যাজ্জাজ উপাধীতে ভূষিত আবূ ইসহাক ইব্রাহিম ইব্ন সির্‌রী ইবন সাহাল আল-বাগদাদী আন-নাহভী(২৪১ হি./৮৫৫ খ্রি.-৩১১ হি./৯৩৩ খ্রি.) হলেন বাসরাপন্থী শীর্ষস্থানীয় ভাষাবিজ্ঞানী 'আরবি ব্যাকরণের অন্যতম সম্রাট। তিনি 'ইলমে নাহুর প্রতি মনোনিবেশ করে খ্যাতিমান নাহুবিদ ছা'লব (২০০ হি./৮১৫ খ্রি.-২৯১ হি./৯০৩ খ্রি.) ও আল-মুবাররিদ (২১০ হি./৮২৬ খ্রি-২৮৬ হি./৯০০ খ্রি.) এর ছাত্রত্ব গ্রহণ করেন। আর অসংখ্য জ্ঞানপিপাসু তাঁর ছাত্রত্ব গ্রহণ করেন। তাঁদের মধ্যে উল্লেখযোগ্য হলেন: ক. আস-সিরাফী (২৯০ হি./৯০২ খ্রি-৩৬০ হি./৯৭০ খ্রি.), খ. আর-রূম্মানী (২৯৬ হি./৯০৮ খ্রি-৩৮৬ হি./৯৯৬ খ্রি.), গ. আবূ 'আলি আল-ফারেসী (২৮৮ হি./৯০০ খ্রি-৩৭৭ হি./৯৮৭ খ্রি.), ঘ. আয-যাজ্জাজী (মৃ. ৩৩৯ হি./৯৫০ খ্রি.)। তিনি বর্ণাঢ্য প্রতিভার অধিকারী ছিলেন। তিনি একজন আরবি ভাষা বিজ্ঞানী, সাহিত্যিক, বুদ্ধিজীবি, জ্ঞানী, আলংকারিক, কুরআন, হাদীস ও ফিক্‌হ শাস্ত্রে পারদর্শী ও পণ্ডিত হিসেবে সুপরিচিত ছিলেন। তিনি এমন একজন ব্যক্তিত্ব যার মধ্যে বিভিন্ন চারিত্রিক গুণাবলি ও বৈশিষ্ট্যের সমাহার ঘটেছে। 'আরবি ব্যাকরণে তাঁর অবদান অপরিসীম। তিনি আল-কুরআন, 'আরবি ব্যাকরণ, ভাষাবিজ্ঞান, অভিধান, কবিতা ও ছন্দ বিজ্ঞান প্রভৃতি বিষয়ে বহু গ্রন্থ প্রণয়ন করে 'আরবি ভাষা-বিজ্ঞানকে সমৃদ্ধ করেছেন। তাঁর রচিত গ্রন্থের মধ্যে বিশেষভাবে উল্লেখযোগ্য হলো: ক. মা'য়ানিউল কুরআন, খ. আল-ইশতিকাক, গ. ফা'য়ালতু ওয়া আফ'য়ালতু, ঘ. শরহু আবয়িয়াতে সিবাওয়াই, ঙ. আল-আরূদ, চ. আল-কাওয়াফি, ছ. আন-নাওয়াদির। তিনি আহ্‌মদ ইবন হাম্বলের মাযহাবের অনুসারী ছিলেন। বক্ষ্যমাণ প্রবন্ধে আল-যাজ্জাজ এর 'আরবি ব্যাকরণে বর্ণাঢ্য প্রতিভা ও দৃষ্টিভংগীর মূল্যায়ন করার প্রয়াস চালানো হয়েছে।

* অধ্যাপক, আরবি বিভাগ, চট্টগ্রাম বিশ্ববিদ্যালয়

[ملخّص المقالة: الزَّجَّاج (٢٤١هـ/٨٥٥م-٣١١هـ/٩٢٣م) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السّري بن سهل البغداديّ النحويّ، يعدّ من النحّاة الأفذاذ، ومن الأعلام الفضلاء المهرة المتفنّنين الأبرزين في العلوم المتعددة والفنون والمعارف المتنوعة. كما يعدّ من العلماء المتقدمين المبرزين في النحو واللغة، جمع بين نحو البصرة والكوفة. وكان أحد الأئمة في العلوم العربية عمومًا، كما كان من أعلم الناس بالأدب والنحو والصرف واللغة خصوصًا. وله مصنّفات عديدة مفيدة. يتم هذا البحث وفق مناهج البحث العلمي من المنهج الوصفي، والتاريخي، والنقدي. ولهذا المقال أهداف عديدة أهمّها: الكشفُ عن تعارف الزجّاج وآراءه النحوية، وبيان مكانته العلميّة بين النحويين المعاصرين. لقد يظهر بهذا المقال أنّ آراء الزجّاج النحويّة متعددة، خالف الجمهورَ في أغلبها، فكانت له آراء انفرد بها عن سابقيه. كما يكشف به أنّه أحد النحّاة الأفذاذ والعباقرة الأبرزين في عصره الذهبي. لقد ظهرت في عهده مدرستان مشهورتان هما: المدرسة الكوفيّة والمدرسة البصرية، فقد جمع بينهما، حيث استخدم بعضُ المصطلحات الكوفيّة والبصريّة. وينتفع بهذا المقال الأدباء واللغويّون والنحويّون وفقهاء اللغة العربيّة، ومحبّوها.]

المقدمة: يعتبر الزجّاج (بفتح الزاى والجيم المشددة وفي آخرها جيم أخرى) من النحّاة الأفذاذ، لقّب بالزّجّاج لأنّه كان يخرط الزُّجّاج أي كان يعمل في صناعته. ولذا ينسب إلى حرفته هذه. (القاضي، سنة١٩٩٢م، ص٣٩؛ الطنطاويّ، ١٩٩٠م، ص١٧٢؛ السيوطي، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٣٧٤) وكان من أهل الفضل والدين المتين وحسن الاعتقاد وجميل المذهب. (الصّفدي، ١٩٩٠م، ج٥، ص ٢٢٨؛ والسيوطي، المصدر السابق، ص٣٧٤؛ الجبوريّ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١، ص١٥؛ ابن خلكان، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ج١، ص ٣١؛ الخطيب البغداديّ، ١٣٤٩هـ/١٩٣١م، المجلّد السادس، ص ٨٩) قد صنّف في هذا الموضوع كتبًا كثيرةً قيّمةً أبرّ بها على المتقدّمين، وأعجز المتأخرين. وكان من أفرد الدهر وغرائبه، وأعلم الناس في فنّه. قد تأثر في العلوم والفنون والمعارف بالعلماء الأفذاذ المعاصرين الذين أخذها عنهم، أبرزهم: ثعلب (٢٠٠هـ/٨١٥م-٢٩١هـ/٩٠٣م)، والمبرّد (٢١٠هـ/٨٢٦م-٢٨٦هـ/٩٠٠م)، وغيرهما. فتكوّنت عبقريّته كعبقرية نموذجية مثالية، كما تأثر به خلقٌ كثيرٌ من النبلاء والفضلاء الذين أخذوا عنه، أشهرهم: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيّرافي (٢٩٠هـ/٩٠٢م-٣٦٠هـ/٩٧٠م)، وأبو الحسن عليّ بن عيسى الرُّمّاني (٢٩٦هـ/٩٠٨م-٣٨٦هـ/٩٩٦م)، وأبو عليّ الفارسيّ النحويّ (٢٨٨هـ/٩٠٠-٣٧٧هـ/٩٨٧م)، وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ (٣٣٩هـ/٩٥٠م). (ابن كثير، ١٩٩٠م، ج١١، ص١٥٨-١٥٩) وغيرهم الذين لعبوا دورًا مهمًا في تطوير العلوم والفنون. وكان الزَّجَّاجُ شخصية

الزَّجَّاجُ: عبقريّتُه و اتجاهاته النحويّة
(আয-যাজ্জাজ: তাঁর প্রতিভা ও ব্যাকরণগত দৃষ্টিভঙ্গি)

عظيمة وعبقرية ضخمة من أئمة النحو واللغة والأدب ورجالاتها وأعلامها. نودّ أن نذكر في هذا المقال العلمي تعارفه وعبقريته العلمية عمومًا، وعبقريّته النحويّة خصوصًا.

ولادة الزجّاج ونشأته:

الزَّجَّاجُ اسمه الأصليّ إبراهيم، وكنيتّه أبو إسحاق، واسم أبيه السّري. ولد أبو إسحاق الزجّاج بالدويرة من بغداد سنة٢٤١هـ/٨٥٥م في العصر الذهبي العصر العبّاسي في خلافة جعفر المتوكّل على الله (٢٣٢هـ/٨٤٦م-٢٤٧هـ/٨٦١م). ونشأ ببغداد منتدى العلماء والفضلاء والأدباء والشعراء واللغويين والنحويين. ترعرع بها في رعاية الوالدين، وأكبّ على طلب العلم في نعومة أظفاره فجلس في خلقات العلماء واللغويين والنحويين حتى ازدادت علومه ومعارفه في شتّى الموضوعات عنفوان شبابه. فأخذ عن علمائها المعاصرين الأفذاذ.

تعلّم الزجّاج:

كان الزجّاج يخرط الزُّجّاج، وكان دخله من هذا العمل ضئيلا لا يكاد يتجاوز الدرهمين، وربما كان درهما واحدًا أو درهما والنصف، وتافت نفسه مع ما فيه من الضيق والإقلال إلى تعلّم النحو ومعرفة اللغة، فأقبل على مدرستين عظيمتين في وقت طلب العلم. أمّا المدرسة الأولى: فمجلس ثعلب (٢٠٠هـ/٨١٦م-٢٩١هـ/٩٠٤م)، وأما المدرسة الثانية: فحلقة المبرّد النحويّ (٢١٠هـ/٨٢٦م-٢٨٦هـ/٩٠٠م) التي اتخذها في المسجد، فانتقل الزجاج إلى حلقة المبرّد وترك ثعلبًا. فقد جاء في كتب التواريخ أنّ الزجّاج أخذ عن العلماء الأفذاذ المعاصرين، ومن أشهرهم اثنان وهما:

الأوّل: ثعلب (٢٠٠هـ/٨١٥م-٢٩١هـ/٩٠٣م): هو أبو العبّاس أحمد بن يحيى النحوي. ولد سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م. كان أحد أئمة الكوفيين في النحو واللغة في عصره، وكان ثقة مشهورا بصدق اللهجة والغريب ورواية الشعر. حيث أطلق البصريّون أبا العبّاس، فالمراد به المبرّد، وحيث أطلقه الكوفيون فالمراد به ثعلب. (زيدان، ١٩٤٨م، ج١، ص٤٨٩) وفي هذا الصدد يقول السيوطي: ثعلب اثنان: أشهرهما: الإمام أبو العبّاس أحمد بن يحيي، والثاني: أبو العبّاس محمد بن عبد الرحمن. (السيوطي، ١٩٤٨م، ج٢، ص٣٨٧) قد جرت بين المبرّد (٢١٠هـ/٨٢٦م-٢٨٦هـ/٩٠٠م)، وثعلب مناظرات علمية نحوية. وكان المبرّد

يشتهي الاجتماع فى المناظرة بثعلب والاستكثار منه، ولكن ثعلب يرفض ذلك ويمنع منه؛ لأنّ المبرّد كان حسن العبارة، حلو الإشارة، فصيح اللسان، وبليغ البيان، ولكنْ مذهب ثعلب مذهب المعلّمين، فإذا اجتمعا فى محفل حكم للمبرّد على الظاهر إلى أن يعلم الباطن. أخذ الزجّاج عن ثعلب علموما كثيرة من الأدب والنحو، واللغة. (الجبوريّ، المصدر السابق، ج١، ص ١٥) ولثعلب تصانيف كثيرة مفيدة، أشهرها: كتاب الفصيح، وكتاب قواعد الشعر، وكتاب معاني القرآن، وكتاب إعراب القرآن، وأمالي ثعلب، وقد نشرتها محققة باسم مجالس ثعلب مرتين في دار المعارف في مجموعة ذخائر العرب، إحداهما في سنة ١٣٦٨هـ، والأخرى في سنة١٣٨١هـ، وغيرها. (زيدان، سنة ١٩٨٣م، ج١، ص٤٩٥؛ ابن خلكان، سنة ١٩٤٨م، ج٣، ص٤٤١-٤٤٢؛ الزجاجي، سنة١٣٨٢هـ، ص١٥) توفّى ثعلب سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م.

الثاني:المبرّد (٢١٠هـ/٨٢٦م-٢٨٦هـ/٩٠٠م) هو أبو العبّاس محمد بن يزيد الأزدي الثماليّ البصريّ إمام اللغة والعربيّة ببغداد فى عصره. لم يكن فى عصره ولا بعده مثله. أخذ النحو عن الأساتذة البارعين المعاصرين. أشهرهم أبو حاتم السجستاني (١٦٥هـ-٢٥٠هـ)، وأبو عمر الجرميّ (ت ٢٢٥هـ)، وأبو عثمان المازنيّ (ت ٢٤٧هـ). وكان يعول إلى المازنيّ. وإلى المبرّد انتهى علم النحو وعلم العربى بعد طبقة الجرمى (ت ٢٢٥هـ)، والمازنى (ت ٢٤٧هـ). روى عن المبرّد عدد كثير من التلاميذ البارزين العلومَ العربيّةَ عمومًا، وعلمَ النحو خصوصًا، أبرعهم: أبو إسحاق الزجّاج (ت٣١١هـ) أخذ عنه الأدب والنحو.(الجبوريّ، المصدر السابق، ج١، ص ١٥) وأبو بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ)، وابن درستويه (ت ٣٤٧هـ)، والوشاء (ت ٣٢٥هـ)، ونفطويه (ت ٢٤٤-٣٢٣هـ). وكان المبرّد كثير الذاكرة، وشديد المناظرة، وحسن العبارة، وفصيح اللسان، وبليغ البيان. وللمبرّد أربعة وأربعون مؤلفًا فى شتى موضوعات من الأدب واللغة والنحو والعروض والبلاغة والقرآن والتاريخ والأخلاق والسلوك، وغيرها. أشهرها ما يلى: كتاب "الكامل فى الأدب واللغة"، وكتاب "المقتضب فى النحو"، وكتاب "التغازي والمراثي"، و"رسالة فى الجواب على سؤال وجهه إليه الواثق بشأن الشعر والنثر"، وكتاب "طبقات النحويين البصريين وأخبارهم"، وكتاب "معانى القرآن"، وكتاب"الأنواء والأزمنة"، وكتاب "قواعد الشعر"، وكتاب "الحثّ على الأدب والصدق، وأداب الجليس"، وكتاب "المدخل إلى كتاب سيبويه." (زيدان، ١٩٨٣م،ج١، ص٤٩٥-٤٩٦؛ الفاخوري، سنة ١٩٨٦م،ج١، ص ٥٨٨-٥٨٩؛ فروخ، سنة ١٩٨٥م، ص ٣٥٥) روى أنّ الزجّاج كان يخرط الزجاج، فأحبّ علم النحو حتى لزم المبرّد. وكان المبرّد لا يعلّم مجّانا، ولا يعلم بأجرة إلا على قدرها، فقال له المبرّد: أيّ شيء صناعتك ؟ أجاب: أُخرط

الزجّاج، وكسبي في كلّ يوم درهم ودانقان، أو درهم ونصف، وقال: أريد أن تبالغ في تعليمي وأنا استغنيتُ عن التعليم أو احتجتُ إليه. فضمن معه أن يعطي الزجاجُ المبرّدَ كلّ يوم من عمله درهما إلى وفاة أحدهما ولزمه ملازمة، وكان يخدمه في شؤنه العديدة، وظلّ يؤدّي إليه ذلك المقدار من الدرهم إلى وفاة أحدهما، حتى صار الزجاجُ متقنًا في علم النحو. وكان المبردُ يأمر من يريد أن يقرأ عليه شيئًا من كتاب سيبويه، أو غيره بأن يعرض على الزجاج أولا ما يريد أن يقرأه. (ابن النديم، *الفهرست*، ج٢، ص ٦٦) استطاع الزجاج خلال فترة قصيرة أن يحصلَ على علوم وافرة من أساتذته، وأصبح من المتميّزين والمقربين.

روى أبو سليمان الخطّابي عن أحمد بن الحسين الفرائضي، قال: كان أصحاب المبرّد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول: إن كان فيكم أبو إسحاق الزجّاج، وإلا انصرفوا، فحضروا مرةً، ولم يكن الزجّاج معهم؛ فقال لهم ذلك فانصرفوا. وثبت رجل منهم-يقال له عثمان-، فقال للآذن: قل لأبي العبّاس: انصرف القوم كلّهم إلا عثمان، فإنّه لم ينصرف. فعاد إليه الآذن وأخبره، فقال: قل له إن عثمان إذا كان نكرة انصرف، ونحن لانعرفك فانصرف راشدا.

العلماء الأفذاذ الذين تأثروا بالزجّاج:

١. **السيّرافي** (٢٩٠هـ/٩٠٢م-٣٦٠هـ/٩٧٠م) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله ابن المرزبان النحويّ ولد بسيراف سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م، ونشأ بها. درس السيّرافي ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض. وقرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ)، واللغة على ابن دريد، وأخذ النحو عن ابن السراج. كان فقيها على مذاهب العلماء العراقيّين. إنّه لقى الزّجّاج فأخذ عنه. وولّى القضاء ببغداد في آخر عمره. وأفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ، ولم يأخذ على الحكم أجرًا. توفّى السيرافي في رجب سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م في خلافة الطائع لله تعالى بن المطيع لله تعالى عن عمر قارب المائة، صام منها ما يزيد على أربعين سنة، ودفن بمقبرة الخيرزان ببغداد. وله كتب عديدة، أشهرها: هو "شرح كتاب سيبويه،" وكتاب "ألفات الوصل والقطع"، كتاب "أخبار النحويين البصريين"، وكتاب "الوقف والابتداء"، وكتاب "صنعة الشعر والبلاغة"، وكتاب "شرح مقصورة ابن دريد". (الشاطر، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٩٠؛ النديم، ١٩٨٣م، ج٢، ص ٦٨؛ القاضي المصدر السابق، ص ٢٨)

٢. **أبو الحسن عليّ بن عيسى بن عليّ الرُّمّانيّ (٢٩٦هـ/٩٠٨م-٣٨٦هـ/٩٩٦م):** الرُّمّانيّ اسم منسوب إلى الرّمّان وبيعه. أصله من سرمري. ولد ببغداد سنة ستّ وتسعين ومائتين الهجرية. وقيل: سنة ستّ وسبعين ومائتين. كان من أفاضيل النحويين البصريين والمتكلمين البغداديّين، مفنن في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو، والكلام. أدرك الزّجّاج وقرأ عليه "الكتاب." وله تصانيف كثيرة، أشهرها: "معاني القرآن وشرح إعرابه" وكتاب "شرح كتاب سيبويه"، وكتاب "نكت سيبويه"، وكتاب "أغراض كتاب سيبويه"، وكتاب "المسائل المفردات من كتاب سيبويه"، وكتاب "شرح المدخل للمبرد"، وكتاب "شرح مختصر الجرمي"، وكتاب "شرح المسائل للأخفش صغير وكبير"، وكتاب "شرح الألف واللام للمازني"، وكتاب "شرح المؤجز لابن السّراج"، وكتاب "شرح كتاب الأصول لابن السّراج"، وكتاب "التصريف"، وكتاب "الهجاء"، وكتاب "الإيجاز في النحو"، وكتاب "المبتدأ في النحو"، وكتاب "النكت في إعجاز القرآن" وكتاب "الاشتقاق الصغير" وكتاب "الاشتقاق الكبير" و"كتاب الألفات في القرآن"، كتاب "إعجاز القرآن". وله شروح وتصانيف في علم الكلام. توفّى سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة من الهجرة. (القاضي، سنة ١٩٩٢م، ص ٣٠-٣١؛ القفطي، سنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م،ج٢، ص٢٩٥-٢٩٦)؛ ابن النديم، المصدر السابق، ص ٦٩)

٣. **أبو عليّ الفارسيّ (٢٨٨/٩٠٠-٣٧٧هـ/٩٨٧م):** هو أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ النحويّ يعدّ واحدًا من أفذاذ علماء العربيّة عمومًا ومن أكابر أئمة النحويين خصوصًا في القرن الرابع الهجري، احتلّ مكانة مرموقة في عصره والعصور التالية. فقد عدّ أنحى من جاء بعد سيبويه، وذلك لشخصيته المستقلة. وكان صاحب المؤلفات الكثيرة. أخذ أبو عليّ علم النحو عن جماعة من النحّاة البارعين، أشهرهم: أبو بكر محمد بن السريّ السراج (ت ٣١٦هـ)، وأبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجّاج (ت٣١١هـ)، يقول ابن السراج في هذا الصدد: أبو عليّ الفارسي الحسن بن أحمد قرأ النحو على أبي إسحاق الزجّاج، وعلى أبي بكر بن السّراج. (ابن السراج،ج١، ص١٤) وأبو بكر مبرمان (ت-٣٤٥هـ/٩٥٦م)، وأبو بكر الخيّاط (ت٣٢٠هـ)، وغيرهم. وأخذ عنه عدد كثير من حذاق النحويّين الذين لعبوا دورا هاما في تطوّر النحو وتنميته وتهذيبه ومن أجلّهم: أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ)، وعليّ بن الفرج الربعيّ (ت ٤٢٠هـ)، وأبو طالب أحمد بن بكر العبديّ (ت٤٠٦ هـ)، وأبو الحسين محمد بن أحمد المعروف بالزعفرانيّ (ت ٣٩٣هـ) وغيرهم. لقد صنّف أبو عليّ الفارسيّ مؤلفات بديعة عجيبة حسنة في مختلف الموضوعات من النحو والصرف والقراءات،لم يسبق أحد إلى مثلها، حتى بلغت نحو الأربعين.

وقدر كبير منها مسائل أملاها في البلدان التي نزل بها فنسبت إليها. ومن أشهرها ما يلي: كتاب الحجة في القراءات السبعة، وكتاب "الإيضاح في النحو" والتكملة في التصريف، وكتاب مختصر العوامل الإعراب، وكتاب المسائل المشكلة، وكتاب "المسائل المصلحة" وكتاب المسائل البغدادية، وكتاب المسائل القصرية، وكتاب المسائل البصرية، والمقصور والممدود، وتعليقة على كتاب سيبويه، وكتاب العوامل المائة، وكتاب جواهر النحو، وإعراب القرآن، والأوليات في النحو، وكتاب نقص الهاذور، وكتاب التتّبع لكلام أبي عليّ الجبائيّ في التفسير، وكتاب تفسير قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة.

٤. **الزجاجيّ (٣٣٩هـ/٩٥٠م):** هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ من نهاوند، نسب إلى شيخه الزجّاج، لأنه لازمه وأخذ عنه. نزل بغداد ولزم الزجاج حتى برع في النحو ثم سكن طبرية وأملى وحدث بدمشق عن أبي بكر بن السراج، وعليّ بن سليمان الأخفش الصغير، ونفطويه، وابن دريد، وأبي بكر بن الأنباري، وغيرهم. روى عن الزجاجيّ أحمد بن شرام النحويّ، وأبو محمّد بن أبي نصر. وله تصانيف كثيرة في الأدب، اللغة والنحو، وغيرها، أشهرها: كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر، الإدكار بالمسائل الفقهية، وكتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغة والمصادر والتأويل. وكتاب الجمل في النحو، ولذلك الكتاب حظوة عند المغاربة تداني كتاب سيبويه عند المشارقة، وكتاب الإيضاح في علل النحو، كتاب تعليقات على صيغة الطلاق في بيت من الشعر، وكتاب الكافي في النحو، وكتاب القوافي، وشرح كتاب الألف واللام للمازني، وشرح خطبة أدب الكاتب، واللامات، والمخترع في القوافي، وكتاب الأمالي، وكتاب حروف المعاني، وكتاب الهجاء، وكتاب شرح رسالة سيبويه، كتاب شرح رسالة ابن قتيبة في أدب الكاتب، وكتاب شرح الألف واللام للمازني، ومجالس العلماء أو غرائب مجالس النحويين، المجموعة في معرفة أنواع الشعر وقوافيه، وكتاب المخترع في القوافي، وكتاب مختصر الزاهر، وغيرها. وتوفّى في طبرية بدمشق سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م. (الزجاجي، سنة ١٣٨٢هـ، ص ١٠-١٣ السيوطي، المصدر السابق، ص ٥٤٨؛ الشاطر، المصدر السابق، ص ٨٨؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج١١، ص ١٥٩؛ الطنطاويّ، المصدر السابق، ص ١٧٤)

حياة الزجاج التعليمية:

إنّ الزجّاج بدأ حياته التعليمية منذ طلب بعضُ بني مارمة. (جاء في كتاب بغية الوعاة لفظ "مارقة" بالقاف) من شيخه المبرّد معلمًا لأولادهم لتعليم النحو، فأسمّى لهم المبرّدُ الزّجّاجَ، فحرج فكان يعلّمهم وأنفذ إليه كلّ شهر ثلاثين درهما، ومضت مدّة على ذلك. وكان الزجاجُ يعلّمهم علمَ النحو. فلم يزل حتى أنّ عبيد الله بن سليمان (٢٢٦هـ/٨٤٠-٢٨٨هـ/٩٠٠م) الذي هو وزير المعتضد بالله (٢٤٢هـ/٨٥٦م-٢٨٩هـ/٩٠١م) طلب منه معلّمًا لابنه القاسم، فقال له: لا أعرف لك إلا رجلا زجّاجًا بالصراة مع بني مارمة، فقدّم إليه الخليفةُ الزجّاجَ. فصارت له خطوة كبيرة لدى الوزير عبيد الله حتى اتخذه كاتبا له ونديما. وكان الزجاج يدرّس ولده القاسم علم النحو والأدب إلى أن ولى الوزارة بعد والده، فزاد لديه فضلُ الزجاج، حتى نال ثروة ضخمة. كان الوزير القاسم يعظّمه تعظيما. فقد فوّضه بأن يقبل رقاع أصحاب الحاجات في الدولة ويساومهم على إنجازها. إذ توفّى القاسم عام٢٩١هـ/٩٠٣م كان الزجاج جمع بوساطته مبلغا كبيرا من الثروة يزيد على أربعين ألف دينار. (فرّوخ، ج١، ص٤٠) قال الزجاج: وكنت أعطي المبرد ذلك الدرهم في كلّ يوم إلى أن مات. ولا أخليه من التفقيد معه بحسب طاقتي. يقول الزجاج في هذا الصدد: كنت أؤدب القاسم بن عبيد الله وأقول له: إن بلغك الله مبلغ والدك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي ؟ فقال: ما أحببتَ. فقال له: تعطيني عشرين ألف دينار. وكانت غاية أمنيّتي، فما مضت إلا سنون حتى ولّى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له، وقد صرتُ نديمه، فدعتني نفسي إلى إذكاره بالوعد ثم هبته، فلما كان يوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق لم أرك اذكرتني بالنذر ! فقلتُ: عولت على رعاية الوزير أيّده الله، وأنّه لا يخرج إلى إذكار لنذر عليه في أمر خادم واجب الحقّ، فقال لي: إنّه المعتضد، ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك إليك في مكان واحد. ولكن أخاف أن يصير لي معه حديث فاسمح لي بأخذه متفرقا. فقلت: يا سيّدي افعل. فقال: اجلس للناس وخذ رقاعهم في الخوائج الكبار، واستجعل عليها ولا تمتنع من مسألتي شيئا تخاطب فيه، صحيحا كان أو محالا، إلى أن يحصل لك مال النذر. قال ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كلّ يوم رقاعا فيوقع فيها، وربما قال لي كم ضمن لك على هذا فأقول كذا وكذا، فيقول: غبنت، هذا يساوى كذا وكذا، ارجع فاستزد فاراجع القوم فلا أزال أماكسهم ويزيدوني حتىّ أبلغ الحدّ الذي رسمه، قال: وعرضت عليه شيئًا عظيمًا، فحصلت عندي عشرون ألف دينار وأكثر منها في مديدة، فقال لي بعد شهور: يا أبا إسحاق حصل مال النذر؟ فقلتُ: لا! فسكت، وكنتُ أعرض فيسألني في كلّ شهر أو نحوه هل

حصل المال ؟ فأقول لا خوفا من انقطاع الكسب، إلى أن حصل عندي ضعف ذلك المال، وسألني يوما فاستحيت من الكذب المتصل، فقلت: قد حصل ذلك ببركة الوزير. فقال: فرجت والله عنّي فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك، قال ثم أخذ الدواة ووقع لي إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة، فأخذتها وأمتنعت أن أعرض عليه شيئا ولم أدر كيف أقع منه، فلما كان من غدٍ جئته وجلست على رسمي. فأومأ إلى هات ما معك يستدعي منّي الرقاع على الرسم، فقلتُ: ما أخذت من أحد رقعة لأن النذر قد وقع الوفاء به، ولم أدر كيف أقع من الوزير، فقال: يا سبحان الله أتراني كنت أقطع عنك شيئا قد صار لك عادة. (الخطيب البغداديّ، المصدر السابق، المجلّد السادس، ص٩٠-٩٢)

وفاة الزجاج:

قد شتت آراء المؤرخين في تعيين تاريخ وفاة الزجّاج، وأصحّها: أنه توفّي ببغداد في خلافة المقتدر بالله (٢٩٥هـ/٩٠٧م-٣٢٠هـ/٩٣٢م) يوم الجمعة من تاسع عشر من جمادى الآخرة سنة ٣١١هـ/٩٢٣م، وقد تجاوز الثمانين. (الصّفدي، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٢٨، ابن جني، سنة ١٣٧٣هـ/أغسطس سنة ١٩٥٤م؛ ابن النديم، المصدر السابق، ص ٦٦؛ الجبوريّ، المصدر السابق، ج١، ص ١٥؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج١، ص٣٣؛ الخطيب البغداديّ،المصدر السابق، المجلّد السادس، ص ٩٣) كما أيّده المبرّد بقوله: في إحدى عشرة وثلاثمائة توفّى أبو إسحاق إبراهيم بن السّرّى الزجّاج النحويّ، صاحب كتاب معاني القرآن. (ابن الأثير، سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٦م،ج٨، ص ١٤٥)

عقيدة الزجاج:

كان الزجاج يعتقد اعتقاد أهل السنة والجماعة في الأصول، كما كان يعتقد في الفروعات اعتقاد رأى أحمد بن حنبل ويتعصّب له حيث التمس من الله –عزّ وجلّ-أخر ما سمع منه بقوله: "اللهمّ احشرني على مذهب أحمد بن حنبل."

عبقرية الزجاج النحوية:

إنّ الزجاج يعتبر أحد مشاهير الشخصيات العبقريّة. له قدح معلّى ومكانة مرموقة بين النحاة المعاصرين في العلوم العربية عموما، في علم النحوخصوصا. فقد كان إمامًا بلا نزاع في النحو البصري بعد المبرّد. وكان مناصرا لآراء شيخه المبرّد، كما يناصر النحويين البصريين الآخرين.

اتجاهات الزجاج النحوية:

للزجاج آراء بديعة يخالف في بعضها جمهور النحّاة النحويّين، وفي بعضها جمهور النحاة البصريين، ومن أهمها ما يلي:

الأول: خالف أبو الفداء ذهب الزجاج إلى أن "زيدا" منصوب على البدل من لفظ أحد في مثل قولنا: لا أحد في الدار إلا زيدا. والجمهور على رفع زيد على البدل من المحلّ، قال أبو الفداء: "لا أحد في الدار إلا زيد ولا إله إلّا الله" بالرفع على البدل من المحلّ ولا يجوز النصب على البدل من لفظ أحد وإله، خلافا للزجاج، وإنما تعيّن البدل من المحلّ دون اللفظ لأنّ العامل لفظا لما كان (لا) وهي إنما تعمل للنفي وما بعد "إلّا" إذا وقع في سياق النفي كان مثبتا، والبدل في حكم تكرير العامل، فلو قدّرت بعد "إلّا" لزم الجمع بين المتناقضين لأنّ (لا) تقتضي نفي ما بعدها، "إلّا" تقتضي إثباته. (أبو الفداء، سنة ٢٠٠٠م، ج١، ص ٥٠)

الثاني: ذهب الزجّاج إلى منع تقديم "حقّا" في مثل قولنا: حقّا زيد قائم. غلب على أبي الفداء عرض آراء الزجاج، من ذلك نقله لرأيه المانع فيه فقال أبو الفداء: "قال الزجاج ولا يجوز تقديم كلمة "حقا" مثل قولنا: "حقا زيد قائم" قال: فإن وسطته كقولنا: "زيد حقا قائم" جاز ذلك. ولم يذكر إمام النحّاة سيبويه امتناع تقديمه". (أبو الفداء، سنة ٢٠٠٠م، ج١، ص ٥٠)

الثالث: يظنّ الزجاج أنّ كلّ لفظين اتّفقا ببعض الحروف وإن نقص حروف إحديهما عن الأخرى، فإن إحديهما مشتقة من الأخرى، فيقول: الرجل مشتق من الرِّجل، وإنما سمّى الثور ثورا، لأنّه يثير الأرض، والثوب سمّى ثوبا لأنّه ثاب لباسا بعد أن كان غزلا، وإنّما سمّى القرنان قرنانا لأنه مطيق لفجور امرأته. فقد نقل يحي بن عليّ المنجم أنّه سأله: من أيّ شيء اشتقّ الجرجير؟ فقال: لأنّ الريح تجرجره، قال: وما معنى تجرجره ؟ أجاب: تجرره، قال: ومن هذا قيل للحبل الجرير، لأنّه يجرّ على الأرض، قال: والجرّة لم سمّيت جرّة ؟ أجاب: لأنّها تجرّ على الأرض، فقال: لو جرت على الأرض لانكسرت، قال: فالمجراة لم سمّيت مجرة ؟ أجاب: لأنّ الله جرّها في السماء جرا. قال: فالجرجور الذي هو اسم المائة من الإبل لم سمّيت به ؟

أجاب: لأنّها تجرّ بالأزمة وتقاد. قال: فالفصيل المجر الذي يشق طرف لسانه لئلا يرتضع أمّه ما قولك فيه ؟ قال: لأنّهم جروا لسانه حتى قطعوه. قال: فإن جروا أذنيه فقطعوه تسميه مجرا، قال: لا يجوز ذلك. قال يحيى بن علىّ: قال: قد نقضت العلة التي أتيت بها على نفسك، ومن لم يدر أن هذا منّا قضّة فلا حسّ له، قال حمزة: وشهدت ابن العلاف الشاعر وعنده من يحكي عن كتاب الزجّاج أشياء من شنيع الاشتقاق الذي فيه، ثم قال: إنّي حضرته وقد سئل عن اشتقاق القصعة، قال: لأنّها تقصع الجوع أي تكسره، قال ابن العلاف: يلزمه أن يقول: الخفض مشتق من الخفيض والعصفر مشتق من العصفور والدبّ مشتقّ من الدبّ والعذب من الشراب مشتقّ من العذاب، والخريف من الخروف والعقل مشتقّ من العاقول والحلم مشتقّ من الحلمة والإقليم مشتق من القلم وغيرها.

الرابع: ذهب الزجاج إلى أن الضمير "هو" و"هي" الهاء فقط، والواو والياء زائدتان لحذفهما في المثنى والجمع، بينما كان يرى بقية البصريين أنّ "هو" و"هي" جميعا أصلان. (ضيف، ج١، ص ٢٥٠)

الخامس: يرى الزجاج أن الفعل المضارع إنّما يدلّ أنّ الفعل المضارع إنما يدلّ على المستقبل فقط، لأنّ اللحظة الحالية التي ننطق فيها بكلمة يكتب بمجرد أن ننطق بها تصبح ماضية خلافا لما ذهب إليه سيبويه وجمهور النحويين فإنّهم كانوا يرون أنّ الفعل المضارع يدلّ على الحال والمستقبل.

السادس: ذهب الزجاج إلى أنّ المثنى مبنيّ لتضمنه حرف العطف إذ أصل قام الزيدان: قام زيد وزيد وكأنّه مبنيّ لنفس العلة التي بنيت لها الأعداد المركبة، مثل ثلاثة عشر. خالفه الجمهور، وهم ذهبوا إلى أنّ المثنى معرب.

السابع: ذهب الزجاج إلى أنّ المثنّى والجمع حركة الإعراب في المفرد. يرى جمهور البصريين أنّ المثنّى والجمع عوض عن التنوين في المفرد.

الثامن: ذهب الزجاج إلى أنّ الضمير في "هو" و"هى" الهاء فقط والواو والياء زائدتان لحذفهما في مثل "هما" و"هم" و"هنّ" وحذفهما أيضا في المفرد في بعض لغات الإعراب، كقول بعضهم:"دارٌ لسُعْدَى إذْهِ من هَواكا." يرى أغلب الببصريين أنّ "هو" و"هى" أصلان، فالضمير في كلّ منهما مجموعة الحرفين. (سيبويه، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص ٢٧)

التاسع: إنّ الزجاج ذهب حول مسوغات الجملة الخبرية التي لا تحتوي على ضمير المبتدأ إلى أن يضمر في الشرط التالي لها مثل: زيد يقوم عمرو إن قام.

العاشر: فقد رأى الزجّاج أنّ الكاف في "كأن" جارة غير زائدة، ومن أجل ذلك قدر فيها التعلق فقال: إنّها اسم بمنزلة مثل وقدرها مبتدأ محذوف الخبر وما بعدها في تقدير مصدر مضاف إليها فمثل "كأن محمدا أخوك " تقديره عنده: مثل إخوة محمد إيّاك موجود وهو بُعد واضح في التقدير. خالفه الخليل بن أحمد الفراهدي وإمام النحاة سيبويه، وغيرهما، فإنّهم ذهبوا إلى أنّ "كأن" مركبة من كاف التشبيه و"إنّ" فالأصل في "كأنّ زيدا أسد" إنّ زيدا كالأسد ثم قدم حرف التشبيه اهتماما به وفتحت همزة "إنّ" لدخول الجار.

الحادي عشر: أجاز الزجاج بأن يدخل لام الابتداء بعد "إن" على الخبر ومعموله التالي سواء أكان مفعولا أم ظرفا أم جارا ومجرورا، نحو: إن محمدا القائم لفي الدار، وإن محمدا القاريء للكتاب. والتكلف في نحو ذلك لواضح جدا.

الثاني عشر: أجاز الزجاج إعمال "لعلّ" و"كأنّما" إذا اقترنت بهما "ما" الزائدة حملا على "ليت" فإنّه إذا اقترنت بها "ما" الزائدة فلا يجوز إلغاء عملها لدى أغلب النحويين، مثل: لعلما خالدا قائم، وكأنما زيدا شاعر.

الثالث عاشر: ذهب الزجّاج إلى أنّ "إيا" من قبيل الأسماء الظاهرة، لا من الضمائر. وهذا ذهب الخليل وسيبويه والأخفش والمازني إلى أنّه من قبيل الأسماء المضمرة. أمّ الجمهور فلهم ثلاثة أقوال. هذا القول أحد الأقوال الثلاثة فيه. (الشاطبي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ج١، ص ٢٨٦)

الرابع عشر: أنه من قبيل الأسماء الظاهرة، لا من الضمائر، وهو رأي الزجاج.

الخامس عاشر: ذهب الزجاج إلى أن المفعول له صورة من صور المفعول المطلق لبيان النوع، مثل: قمتُ أدبا، كأنّه قيل فيه: تأدبتُ بالقيام، فالتأديب مجمل والقيام بيان ل كأنّه قيل: تأديب بالقيام أدبا. ولأجل ذلك قال: إنّ المفعول له هو مفعول مطلق منتصب بفعل مضمر من لفظه جعل عوضا منه، ولذلك لا يظهر، وقد كان سيبويه يرى أنّ ناصب المفعول له الفعل السابق له، لأنّه علّة لمضمونه، ولذلك كان الأصل أن يجرّ باللام، مثل: قمتُ للإكرام، فتحذف اللام وأداة التعريف، ويقال: قمتُ إكراما.

السادس عشر: ذهب الزجاج إلى أن كلمة "الأن" بنيت لتضمنها معنى الإشارة، لأنّ معناها هذا الوقت. والحال أنّ المبرد ذهب حول تعليل بناء "الأن" بإقترانها دائمًا بأداة التعريف دون أخواتها.

السابع عشر: ذهب الزجّاج إلى أن "إذا" الفجائية ظرف زمان، ولذلك منع كونها خبرًا لما بعدها في نحو: فإذا زيد بل الخبر محذوف، لأنّ الزمان لا يخبر به عن الجثّة. والحال أنّ الأخفش ذهب إلى أن "إذا" الفجائية حرف، وذهب المبرّد إلى أنّ "إذا" الفجائيّة ظرف مكان. (ضيف، المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٠؛ القُوجَوي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج١، ص ٨٨)

الثامن عشر: ذهب الزجّاج إلى أن "المفعول معه" منصوب بفعل مضمر بعد الواو، مثل قولنا: "استيقظ وطلوع الفجر" تقديره عنده: استيقظ ولابس طلوع الفجر، وما أشبه ذلك لأنّ الفعل في رأيه يعمل في المفعول وبينهما الواو، كأنّما فاته أنه يعمل في المعطوف وبينهما الواو في مثل: قام خالد وزيد. وذهب الأخفش إلى أنّه منصوب على الطرفية. وذهب أغلب النحويين إلى أنّ عامل المفعول معه هو الفعل، أو معناه بتوسط الواو.

التاسع عشر: أجاز الزجّاج تقديم المستثنى على فعله، مثل: إلّا خالد ذهب التلاميذ، مستشهدا بقول الشاعر:

خلا الله لا أرجو سواك، وإنما + أعد عيالي شعبة من عيالكا

(الأنباري، سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ص ٢٢٣)

العشرون: يرى الزجّاج أنّ تمييز "كم" الاستفهاميّة إذا سبقها حرف جارّ يكون مجرورًا لدخولها على "كم" وهى العالمة فيها، ولا ليس "مِنْ" الجارة المضمرة عاملة. وبالأيدي الأخرى أنّ الفرآء ونفر من النحاة ذهبوا إلى أنّ تمييز "كم" الاستفهامية يجوز جرّه إذا سبقها حرف جار، نحو: على كم فقير أحسنتُ. وهم يرون أنّ التمييز مجرور حينئذ بكلمة "من" المقدرة التي حذفت تخفيفا. وكان أصل العبارة "على كم من فقيرٍ أحسنتُ.

الحادي والعشرون: يرى الزجّاج أنّ "أيمن" في مثل "أيمن الله" حرف جار بمعنى القسم. ويرى أغلب النحويين البصريين أنّ "أيمن" في مثل ذلك مرفوعة بالابتداء، وحينئذ خبُرها محذوف. وليس حرفًا جارًا.

الثاني والعشرون: ذهب الزجّاج إلى أنّ جواب "لو" حين يكون جملة اسمية، كقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.) (سورة ٢: البقرة: ١٠٣) فيها جواب "لو" جملة "مَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ" لأنها تنْبِئ عن قولك "لأثيبُوا" (الزجاج، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج١، ص ١٨٧) واللام الداخلة عليها هى التي تدخل عادة في جواب "لو" وليست هى لام القسم. وبالأيدي الأخرى ذهب أغلب النحاة إلى أنّ جواب "لو" حين يكون جملة اسمية محذوف، فتقديره:جملة مقدرة "لأثيبوا" ومعنى الكلام أنّ ثواب الله خير لهم من كَسْبِهم بالكُفْر والسحْرِ. أمّا "لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ" فجواب القسم، وتقديره: واللهِ لمثوبةٌ.

الثالث والعشرون: ذهب الزجّاجُ إلى أنّ لفظ "القلم" في نحو: "كتبتُ بهذا القلم" أُعرب لكونه عطف البيان، لا لكونه "نعتا." وبالأيدي الأخرى أنّ أغلب النحويين البصريين أعرب لفظ "القلم" في المثال المذكور لكونه نعتا، كما نقل ذلك عن الإمام سيبويه. وإنّهم لم يلتفتوا إلى أنّه قد يسمّى التأكيد وعطف البيان صفة.

الرابع والعشرون: ذهب الزجاجُ إلى أنّ لفظ "الفاء" في نحو: "خرجتُ فإذا زيد قائم" للسببيّة فقط. وذهب المازني إلى أنّ ذلك "الفاء" زائدة.

الخامس والعشرون: ذهب الزجاجُ إلى أنّ لفظ "قلقل" و"صلصل" و"جرجر" و"قرقر" والألفاظ التي يماثلها على وزن فعفل. وبالأيدي الأخرى أنّ أغلب النحّاة ذهبوا إلى أنّها على وزن فعلل.

السادس والعشرون: ذهب الزجّاج إلى أنّ أصل "اتّخذتُ" كان "اوتخذتُ" فقلبت الواو تاء. وذهب جمهور النحاة إلى أنّ وزن "اتّخذتُ" على وزن "افعلتُ" بتكرار التاء.

السابع والعشرون: ذهب أغلب النحويين إلى أنّ الهمزة في لفظ "مصائب" من الشاذ الذي لا يقاس عليه، وأنّ القياس يقتضى فيه أن يكون "مصاوب" لأنّ الواو أصلية فلا تقلب همزة. إنّما تقلب في مثل "صحائف" من صحيفة، و"حمائل" من حمولة، و"قلائص" من قلوص، مما حرف المدّ فيه زائدة على الحروف الأصلية. وذهب الزجّاج إلى تصحيح مثل ذلك وأنّ الواو أبدلت همزة، وكأنه كان يرتضى أن تجمع معيشة على وزن معائش. لقد خالفه جمهور النحويين البصريين، كما خالفه سيبويه.

الثامن والعشرون: ذهب أغلب الزجّاج إلى أنّ العلم كلّه مرتجل. خالفه سيبويه فإنّه يرى أنّ العلم كلّه منقول، أي جآء كلّه على طريقة النقل.

التاسع والعشرون: يقول الفراء حول "حيث" علة الضم: "لأنها تدلّ على محذوف مثل قبل وبعد." وقال الزجاج: أصل حيث أنها منعت الإضافة فحركت بالضم لالتقاء الساكنين، وأختير لها ذلك لأنّها غاية.

الثلاثون: اتجاهة الفراء حول معنى الضعف: يقول هشام: إذا قال رجل مخاطبا لأحد: إن أعطيتني درهما فلك ضعفاه معناه: فلك مثلاه. يقول: العرب لا تفرد واحدهما وإنما تتكلم بهما بالتثنية. وقال غيره: الضعف يقع على المثلين. يقول الفراء: أراكم مثلكم كأنّك قلت: أراكم ضعفكم، وأراكم مثليكم، يريد ضعفيكم، فهذا على معنى الثلاثة. تفسيره عنده كما تقول وعندك عبد: أحتاج إلى مثله، فأنت محتاج إليه وإلى مثله، وتقول: أحتاج إلى مثلي عبدي، فأنت إلى ثلاثة محتاج. ويقول رجل: معي ألف وأحتاج إلى مثله فهو يحتاج إلى ثلاثة. فلما قوى أن يكون الألف داخلا في معنى المثل صار المثل اثنين، والمثلان ثلاثة. واحتج الزجاج على مذهب الفراء، فقال: هذا باب الغلط فيه غلط بين في جميع المقاييس وجميع الأشياء، لأنا إنما نعقل مثل الشيء ما هو مساوٍ له، وتعقل مثليه ما يساويه مرتين. (الأنباري، سنة ١٩٦٠م، ص١٣١؛ الفراء، ١٩٨٠م، ج١، ص١٩٤؛ الزجاج، ج١، ص ٣٨٢-٣٨٣؛ د. تركي العتيبي، ١٩٩٥م، ص٣٤٦)

الحادي والثلاثون: قد اختلف النحّاة في رتبة الحاضر والمستقبل، فذهب أبو إسحق الزجاج إلى أنّ المستقبل أوّل الأفعال. واحتج لذلك بأن الأفعال المستقبلة تقع بها العدادات ثم توجد فتكون حالًا ثم يمضي عليها الزمان فتكون في الماضي، وتبعه تلميذه الزجاجي. وبالأيدي الأخرى ذهب أبو بكر بن السراج إلى أنّ الحاضر هو أوّل الأفعال. (ابن جني،ج٢، ص ٣٣)

الثاني والثلاثون: قد ذهب الزجاج إلى أنّ الحال الدالة على ترتيب مثل قولنا:"ادخلوا رجلا رجلا" و"قرأت الكتاب كلمة كلمة" و"حفظت القصيدة بيتا بيتا" فيها أنّ الاسم الأول حال، والثاني توكيد له، وفي نصب الثاني على التوكيد نظر، لأنّه لو كان توكيدًا لأدى ما أداه الأول. (السامرائي،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٢، ص٢٨٣)

مؤلفات الزجاج:

كانت حياة الزجاج زاخرة بالعطاء، وقد ترك عددًا كبيرًا من المؤلفات التي اشتهرت بعد وفاته.كان الزجّاج صاحب مؤلفات كثيرة في موضوعات عديدة لا يحصى عددها، لذا اختلف آراء المؤرخين في عددها. فذكر

صاحبُ معجم المؤلفين خمسة كتب، وصاحب سير أعلام النبلاء ستة، وذكر السيوطي في كتابه "بغية الوعاة" أحد عشر كتابا، وابن النديم في كتابه "الفهرست" ثلاثة عشر كتابا، وابن خلكان أربعة عشر كتابا، وذكر حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون" سبعة عشر كتابا. مهما يكن الحال قد يوجد له في كتب التواريخ أحد وّعشرين كتابا، وهى ما يلي:

١. كتاب "معاني القرآن" في التفسير، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب)، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، عدد الأجزاء: هذا كتاب مختصر حول إعراب القرآن ومعانيه. قد بدأ الزجاج بإملاء هذا الكتاب في صفر ٢٨٥هـ/٨٩٨م حتى أكمله في ربيع الأوّل سنة ٣٠١هـ/٩١٣م.

٢. كتاب "ما فسّره من جامع المنطق" ألّفه خصّيصاً للخليفة المعتضد.

٣. كتاب "الاشتقاق"

٤. كتاب "القوافي" أو الكافي في أسماء القوافي.

٥. كتاب "العروض"

٦. كتاب "الفرق"

٧. كتاب "خلق الإنسان"

٨. كتاب "خلق الفرس"

٩. كتاب "مختصر في النحو"

١٠. كتاب "فعلت وأفعلتُ" هو كتاب في علم الصرف

١١. كتاب "ما ينصرف ومالا ينصرف"

١٢. كتاب "شرح أبيات سيبويه"

١٣. كتاب "النوادر" (الصّفدي، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٢٩؛ ابن النديم، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٦)

١٤. "المؤاخدات على الفصيح لثعلب"

١٥. كتاب "الأنواء" (صلاح الديّن خليل بن أيبك الصّفدي، *كتاب الوافي بالوفيات*، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٢٩)

١٦. كتاب "المثلث"

١٧. كتاب "الفرق بين المذكر والمؤنث"

١٨. كتاب "الردّ على ثعلب في الفصيح"

١٩. كتاب "الأمالي" وذلك في الأدب واللغة. وهذا الكتاب اشتهر بآمالي الزجّاج. والأمالي ثلاثة وهي: الأمالي الكبرى، الأمالي الوسطى، والأمالي الصغرى.

٢٠. كتاب "المقصور والممدود"

٢١. كتاب "الوقف والابتداء"

٢٢. كتاب "الإبانة والتفهيم عن بسم الله الرحمن الرحيم"

٢٣. كتاب "تفسير أسمآء الله الحسنى.

٢٤. الشجرة أو التقريب.

٢٥. كتاب إفساد الأضداد. (الجبوريّ، المصدر السابق، ج١، ص ١٥؛ الصّفدي، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٢٩؛ ابن النديم، المصدر السابق، ج٢، ص٦٦؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج١، ص٣٢)

هذه الكتب تدلّ على عبقريته الفذّة في الأدب واللغة عموما وفي علم النحو خصوصا. وهي ثروة ثمينة في العلوم والفنون والمعارف الإسلامية.

الخاتمة والنتائج:

إنّ أبا إسحاق إبراهيم بن السّري بن سهل البغداديّ المعروف بالزَّجَّاج نحويّ كبير يعتبر من النحّاة الأفذاذ والأعلام الأبرزين في العلوم والفنون والمتنوعة. وكان أحد الأئمة والعباقرة في العلوم العربية عمومًا، كما كان من أعلم الناس بالأدب والنحو والصرف واللغة خصوصًا. وكان يُعتبر من رجالات عالمية وموسوعية. وله كتب متنوعة نافعة في شتى الموضوعات، وله مكانة عالية ورتبة سامية بين النحويين المعاصرين. كما له آراء نحويّة متنوعة، واتجاهات متعددة خالف الجمهورَ في أغلبها.

المراجع والمصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- القاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعرّي، *تاريخ العلماء النحويّين*، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، (القاهرة: هجر)، ط٢ سنة ١٩٩٢م، ص ٣٩

٣- الشيخ محمّد الطنطاويّ، *نشأة النحو وتاريخ أشهر النّحاة*، (القاهرة: دار المعارف،) ط٢، ص ١٧٢

٤- الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، *لبّ اللباب في تحرير الأنساب*، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص ٣٧٤

٥- صلاح الديّن خليل بن أيبك الصّفدي، *كتاب الوافي بالوفيات*، تحيقيق: أحمد الأرناووط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء اتراث العربي)، ج٥، ص ٢٢٨

٦- الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، *لبّ اللباب في تحرير الأنساب*، المصدر السابق، ص٣٧٤

٧- كامل سليمان الجبوريّ، *معجم الأدباء*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص١٥.

٨- ابن خلكان، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)، ج١، ص٣١

٩- الخطيب البغداديّ، الحافظ أبو بكر أحمد بن عليّ، *تاريخ بغداد*، (بغداد: المكتبة العربيّة، ١٣٤٩هـ/١٩٣١م)، المجلّد السادس، ص ٨٩

١٠- أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، *البداية والنهاية*، تحقيق: أحمد عبد الوهّاب فتيح، (القاهرة: دار الحديث)، ج١١، ص ١٥٨-١٥٩

١١- زيدان، جرجى، *تاريخ آداب اللغة العربية*، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة،١٩٨٣م)، ج١، ص٤٨٩

١٢- السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج٢، ص٣٨٧

١٣- زيدان، جرجى، *تاريخ آداب اللغة العربية*، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة سنة ١٩٨٣م)، ج١، ص٤٩٥

١٤- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، *أمالي الزّجّاجيّ*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: المؤسسة العربيّة الحديثة)، ط١ سنة ١٣٨٢هـ، ص ١٥

١٥- الفاخوري، حنّا، *الجامع في تاريخ الأدب العربي* (بيروت: دار الجيل سنة ١٩٨٦م)، ج١، ص ٥٨٨-٥٨٩

١٦- فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربى* الأعصر العباسية، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٥ سنة ١٩٨٥م)، ص ٣٥٥

١٧- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٤٨م)،ج٣، ص٤٤١-٤٤٢.

١٨- ابن النديم، *الفهرست*، (طهران، الطبعة الثانية ١٩٨٣م)، ج٢، ص ٦٦
١٩- محمّد الشاطر أحمد محمّد، *المؤجز في نشأة النحو*، (القاهرة: مكتبة الكلّيات الأزهرية، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٩٠
٢٠- القاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعرّي، *تاريخ العلماء النحويّين*، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، (القاهرة: هجر، ط/٢، سنة ١٩٩٢م، ص٣٠-٣١
٢١- القفطي، *إنباه الرواة*، تحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار الكتب، سنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، ج٢، ص ٢٩٥-٢٩٦)
٢٢- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، *الأصول في النحو*، المحقق: عبد الحسين الفتلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ج١، ص ١٤
٢٣- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تحقيق: محمد عبد الرحيم، (بيروت: دار الفكر)، ص ٥٤٨
٢٤- ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء الحافظ، *البداية والنهاية*، تحقيق: أحمد عبد الوهّاب فتيح، (القاهرة: دار الحديث)، ج١١، ص ١٥٩
٢٥- الشيخ محمّد الطنطاويّ، *نشأة النحو وتاريخ أشهر النّحاة*، المصدر السابق، ص ١٧٤
٢٦- فرّوخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي*، (بيروت: دار العلم للملايين، ط١)، ج١، ص٤٠
٢٧- الخطيب البغداديّ، الحافظ أبو بكر أحمد بن عليّ، *تاريخ بغداد*، المصدر السابق، المجلّد السادس، ص٩٠-٩٢
٢٨- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، *المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني*، (بيروت: دار إحياء التراث القديم، ط١، سنة ١٣٧٣هـ/أغسطس سنة ١٩٥٤م.
٢٩- ابن الأثير، الشيخ العلّامة عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم الشيباني، *الكامل في التاريخ*، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٦م)، ج٨، ص ١٤٥
٣٠- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، *الكناش في فني النحو والصرف*، التحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، سنة ٢٠٠٠م)، ج١، ص ٥٠

٣١- ضيف، شوقي، أحمد شوقي عبد السلام، *المدارس النحوية*، (القاهرة: دار المعارف، ط١)، ج١، ص ٢٥٠
٣٢- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، *الكتاب*، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص٢٧
٣٣- أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، *المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)*، المحقق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ج١، ص ٢٨٦
٣٤- محمد بن مصطفى القُوجَوي، *شيخ زاده*، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، التحقيق: إسماعيل مروة، (بيروت: دار الفكر المعاصر)، ودمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج١، ص ٨٨
٣٥- كمال الدين الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين*، الباب: مسئلة هى يجوز تقديم حرف الاستثناء في أوّل، (بيروت: المكتبة العصرية، ط١ سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ص ٢٢٣
٣٦- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، *معاني القرآن وإعرابه*، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص ١٨٧
٣٧- الأنباري، محمد بن القاسم، *الأضداد*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الكويت: مطبعة حكومة الكويت سنة ١٩٦٠م)، ص١٣١
٣٨- الفراء، *معاني القرآن*، (بيروت: عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٠م)، ج١، ص ١٩٤
٣٩- الزجاج، *معاني القرآن وإعرابه*، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، صيدا)، ج١، ص ٣٨٢-٣٨٣
٤٠- د. تركي بن سهو بن نزال العتيبي، *هشام بن معاوية الضرير*، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٩٩٥م)، ص ٣٤٦
٣٩. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، *الخصائص*، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة)، ج٢، ص ٣٣
٤٠. د. فاضل صالح السامرائي، *معاني النحو*، (الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج٢، ص٢٨٣